

طائرة المافيا

يوسف أمين

لقد أجمع الكتاب والمعلقين السياسيين المتتبعين للمشهد اللبناني عبر مقالاتهم الصحفية على أن سنة ٢٠٠٣ كانت من أسوأ ما مر على وطن الأرز. كالعادة قام هؤلاء بجرده للأحداث السيئة الذكر التي حصلت من الفضائح المالية والفساد الإداري والسياسي، إلى الفقراء اللذين يموتون على أبواب المستشفيات، إلى أزمة الجامعة اللبنانية، مروراً بكارثة تحطم الطائرة في بنين التي ذهب ضحيتها ما يزيد عن ١٤٠ مهاجراً لبنانياً. لقد ضربت فاجعة طائرة بنين الوطن برمته ولفته بالسواد، فالموت لا يفرق بين فقير وغني، بين طفل ورجل، أو بين مسلم ومسيحي، لقد دفع الجميع حياتهم ثمناً للإهمال والسمسرة وممارسات الحكام الواجهات. هذا ويبدو أن التحقيقات والأخبار المتناقضة المتناقلة عبر الصحف ووسائل الاعلام الأخرى تشير إلى أن هذه الفضيحة الكارثة ستنتهي كما انتهت المنات من سابقتها بالملفلة بفضل عنترية حكام الطوائف والطوائف والاحتلال الأخوي.

تذكرنا هذه القضية بأيام حروب الآخرين البغيضة علينا وعلى لبناننا، يوم كان اللصوص وعصابات سرقة السيارات يروجون ويتداولون في السوق السوداء أعلى وأفخم السيارات بأسعار زهيدة جداً، وكانوا في حينه يطلقون عليها اسم "سيارات المافيا"، ومن منا لا يعرف كيف كانت تتم تلك العمليات الاحتياطية. كان اللصوص يسرقون السيارات الفخمة من داخل وخارج لبنان، ومن ثم يقومون بتسجيلها في لبنان عن طريق دفع "الإكرامية" لأشخاص يعملون في مكتب تسجيل السيارات مقابل غض النظر عن عمليات التلاعب بأوراقها. فتنحول السيارات المسروقة بقدرة قادر إلى سيارات قانونية ومن ثم يتم بيعها في السوق، وهذا تماماً ما حصل في قضية "طائرة الموت".

فبالرغم من رفض قبول سلطات الطيران المدني في مطار بيروت طلب ترخيص الشركة المالكة للطائرة لعدم استيفائه الشروط الفنية، وعلى رغم خلفية الأداء السيئ للشركة حسب ما أعلن أحد المسؤولين الأفارقة، حيث كانت تعمل بطريقة اعتباطية دون أي تقيد بقواعد سلامة الطيران لأن المسألة الأساسية لأصحابها كانت المردود المالي لرحلاتها، وعلى رغم من أن الطائرة قد تكون هي نفس الطائرة المسروقة من أنغولا، وعلى رغم كل علامات الاستفهام الكثيرة التي أحاطت بهذه القضية، فقد قامت السلطات اللبنانية بالتلاعب في أوراق الطائرة ونفذت عملية تمويه وتغيير للأسماء والأشياء مقابل "الإكرامية" ومنحت الترخيص "طائرة المافيا" هذه دون الأخذ بعين الاعتبار سلامة المواطنين.

بين أنغولا، غينيا، أفغانستان، الشارقة، ليبيا وبيروت بلغ بحر بنين طائرة البوينغ ٧٢٧، معها ١٤٠ ضحية من أهلنا، كما بلغ أسرارها.

قريباً سوف تتعامى واجهات حكم الطائف عن مصير الضحايا، كما سيتناسون عمداً أسباب الكارثة بعد أن يتلفوا البراهين ويرهبوا ذوي الضحايا، وبالتالي فإن أي محاكمة للمجرمين في حال حصلت، ستكون صورية ليس أكثر، لأنه لا يُعقل أن يحاكم المجرم نفسه.